وصلنا الخبر في البيت، كما وصل كل البيوت في ساعة متأخرة من مساء ذلك اليوم والجميع منا ترقرق الدمع في عينيه، إلا إبراهيم الذي تجمدت عيناه وتغيّر وجهه وانتفض واقفاً، كانت أختي مريم تقف على باب الغرفة، وقد ترقرق الدمع في عينيها، وعلى يديها ياسر وإلى جوارها تقف إسراء وهي تنظر إلى زوجها، الذي صرخ بها قائلاً: هات السلاح يا مريم كلماته كانت كالصاعقة فهذه المرة الأولى التي يظهر إبراهيم حقيقة أمره بهذا الوضوح، ناولتني مريم ابنها ياسر وصعدت السلالم سريعة وعادت وبيدها بندقية كلاشينكوف، وبضعة مخازن مليئة بالرصاص وناولتها لإبراهيم، وهي تمسح دمعها بطرف منديلها وتبتسم.

تناول إبراهيم البندقية، وانحنى يقبل رأس إسراء ثم قبل رأس ياسر، ومسح دمعة أخرى عن وجنة مريم وانطلق خارجاً من الدار وقلوبنا تدعو له أن يحميه الله ويرعاه ويسدد خطاه، تذكرت حينها أمي وهي تهز سرير إسراء وتردد: هاتي منديلي يا واقفة على الباب...هاتي منديلي، هاتي لي سلاحي يا واقفة على الباب...هاتي لي سلاحي، ثم تذكرت صورتها وأنا أحبو إلى جوارها وهي تهز سرير أختي مريم، وتردد نفس الكلمات، وأدركت كم تعني تلك الكلمات التي كنا نرضعها مع حليب أمهاتنا ونحن نسمع كلمات تنغرس في أعماق نفوسنا، وتنجبل مع كريات دمنا، تذكرت ذلك وأنا أرى مريم تلك الريحانة التي كنا نخشى عليها أن تنقصف من نسائم الصبا، تمسح دموعها وهي تفارق فارس أحلامها ورجلها وأبا أبنائها، تناوله السلاح وهي تمسح الدموع دون أن ترتجف لها جفن، ودون أن تلفظ كلمة تردد أو خوف أو تحسب، وتأكدت حينها أننا شعب قوي عظيم لا يمكن أن ينكسر أو يتراجع، أو أن روحاً غريبة لا أدري كنهها تسري في كياننا، فتبث فينا ذلك الاستعداد الغريب للتضحية والفداء بأغلى ما نملك، ويظل صوت أمي يتردد في سمعي (هاتي لي سلاحي يا واقفة على الباب...هاتي لي سلاحي، أبداً ما أرتاحي يا مهجة الفؤاد..أبداً ما أرتاحي، لاحمل سلاحي واقتل سفاحي واصنع نجاحي بدمي والنار...هاتي سلاحي، هاتي سلاحي يا واقفة على الباب...هاتي سلاحي).

كانت سيارات كبار الضباط ورجال المخابرات والإداريين لقوات الاحتلال في قطاع غزة قد غيرت طريق دخولها وخروجها إلى غزة، فبدلاً من أن تسلك الطريق الوسط من المدينة نحو الشرق، والذي يمر من وسط الكثافة السكانية واكتظاظ الحركة في قلب المدينة وشرقها، بدأت تتحرك نحو الغرب مروراً بشارع النصر حتى مفرق السودانية، تتجه غرباً إلى طريق البحر، وقد وصلت لإبراهيم معلومات عن تحرك أحد قادة قوات الاحتلال على هذا الطريق في ساعة محددة من أول الليل بصورة دورية، فقرر استهدافه كرد أولي وسريع انتقاماً لاستشهاد عماد.